

يوم النصر

الخطبة الأولى

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمٍ نتقلَّبُ فيها ليلَ نهارٍ،
أحمدُه سبحانه وأشكرُه على فضله وخيره المِدرارِ،
وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزيزُ
الجبارُ، القويُّ القهارُ، وأشهدُ أن سيدنا ونبينا محمدًا
عبدُه ورسولُه ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه
إلى يوم الدين .

أما بعد: فأوصيكم ونفسي بتقوى الله...

عباد الله: في قصص الأنبياء عبرةٌ وعِظَةٌ، هي زادٌ في
الطريق، وتُثَبِّتُ الْمُؤْمِنِينَ (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) وقِصَّةُ موسى عليه السلامُ

أطولُ قصصِ القرآنِ، وتتميّزُ بتنوّعِ مشاهدِها، وكثرةِ
عرضِها.

وُلد موسى عليه السلامُ والرُّعبُ يملأُ الأجواءَ، والأمةُ
مُستضعفةٌ مُشتتةٌ، يسومُهم فرعونُ سوءَ العذابِ؛ يُذبحُ
أبناءَهم، ويستحي نساءَهم، ويقتلُ كلَّ مولودٍ ذكراً،
حِفاظاً على سُلطانِه؛ فأذلَّ أُمَّتَه، وقهرَ قومَه؛ ليبقى
حُكْمُه، ويدومَ عرشُه، ويبني مُلكَه على جماجمِ الأطفالِ)
إنَّ فرعونَ علا في الأرضِ وجعلَ أهلها شيعاً يستضعفُ
طائفةً منهم يُذبحُ أبناءَهم ويستحي نساءَهم إنَّه كان من
المفسدين).

وهناك تملَّكُ الدهشةُ، ويحتضنُك العجبُ، الأمُّ

خائفةً، وتخشى أن يصلَ نبؤه إلى فرعونَ وقومه فيقتلوه،
ويُلهمها الله أن تُلقِيه في اليمِّ، اليمُّ بأمرِ الله غداً ملجأً
أمناً، احتضنَ الطفلَ الرضيعَ، وحماه من كلِّ سوءٍ)
وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ
فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ).

وتتوالى الأحداثُ العجيبةُ؛ لتبرزَ للمؤمنِ ضالةٌ مكرِ
الطغيانِ، وحقارةٌ كيدِه مهما صالَ وجالَ، أمامَ قُدرةِ الله
وعظمتِه؛ يقتلُ فرعونُ أطفالَ بني إسرائيلَ حتى لا يرى
موسى نورَ الحياةِ، وتسوقُ الأمواجُ موسى الرضيعَ حتى
تسكُنَ به أمامَ قصرِ فرعونَ، ويقذفُ اللهُ محبَّتَه في قلبِ

امرأة فرعونَ (لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا).

وَيُسْخَرُ اللَّهُ فرعونَ؛ لِيَتَرَبَّى موسى على فراشه ومائدته،

وهل يجزؤُ -عبادَ الله- مخلوقٌ أن يمسَّ بسوءٍ من أرادَ

اللهُ له السلامة والنجاة؟!

جاؤوا لموسى بالمراضع، فعافهنَّ (فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ

عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ).

هذا وعدُ الله، ووعدُ الله لا يتخلف، ويبقى -إخوة

الإيمان- أن نزرعَ اليقينَ في نفوسنا بأنَّ من تعلَّقَ بالله،

وتوكَّلَ عليه مع الأخذِ بالأسبابِ فإنَّه لا ييأسُ من رَوْحِ

الله، ولا يخنَعُ لوساوسِ الوهن، ولا يتشاءمُ مع الأحداثِ؛

بل تزيدهُ الشدائدُ قوَّةً وعزيمةً وأملاً (ألا إنَّ نصرَ اللهِ

(قريب)

عباد الله: أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون (اذهب إلى

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) ، وهي مهمة شاقّة، فقد ادّعى فرعون

الألوهيّة، وبلغ الغاية في البغي والغرور.

وهنا يُسجّلُ نبيُّ الله موسى عليه السلامُ درسًا منهجيًّا

وهو: أنه بدأ المهمة بتجرّده من حوله، والانخلاع من

قوّته، والاطّراح بين يدي الله، مُسبِّحًا ربّه كثيرًا، ذاكراً

الله كثيرًا (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ

عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي

هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ

كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا).

وهكذا ينبغي للمسلم أن ينطرح بين يدي الله في كل حين
ووقتٍ وحاجةٍ (ربِّ إني لما أنزلتَ إليَّ من خيرٍ فقيرٍ).

أمر الله موسى وهارونَ (اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا
له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى). فقولا له قولا لينا
وصية الله لموسى؛ فالقول اللين، وبيان الحق، ومقارعة
الحجة بالحجة، والحوار الهادئ أدب الدين وهدى
المُرسلين.

أما القولُ الفظُّ الغليظُ، والسببُ والتقريعُ، والصُّراخُ
والتجريحُ فإنه يُنْفِرُ من الدين، ويُشوِّه حقائقه
وسماحته، كما أن اللين لا يعني تمييع أحكام الدين وليَّ
عنقِ أصوله، وتدويب حقائقه ومنهجه بحجة إرضاء

الآخرين وكسبهم.

قال قتادة: (يا رَبِّ ! إن كان هذا حلمك برجلٍ قال (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي)؛ فكيف سيكون حلمك بعبدٍ سجدَ لك وقال: سبحانَ ربي الأعلى).

عباد الله: فرعونُ يُحَدِّثُ من موسى، ويجمعُ السَّحْرَةَ في مناظرةٍ علنيَّةٍ لإسقاطِ موسى أمامَ الرأْيِ العامِ ، توطئةً لإقصائه وقتله (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى)
 حضرَ السَّحْرَةَ ميدانَ المناظرةِ، مُتآمِرِينَ على موسى، مُعتمدينَ على عِزَّةِ فرعونِ، وفي هذا الحشدِ المهيبِ يُوصِي رَبُّ موسى موسى (لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) لا تخف؛ لأنك الأعلى الأعزُّ الأكرمُ، الأعلى منهجًا، والأكرمُ

خُلُقًا، والأعزُّ عقيدةً. وهذه رسالةٌ لبعضِ بني جلدتنا
 ممن تسرَّبت إلى نفوسهم الهزيمةُ النفسيةُ، وتزعزعت
 مفاهيمهم، وتخلَّلت مواقفهم حين رأوا انتفاشةَ الباطلِ
 وزُهَّوَّ الضلالِ (واللهُ غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا
 يعلمون).

ويُريدُ فرعونُ أمرًا، ويُريدُ اللهُ أمرًا، ويظهرُ أمرُ اللهِ،
 اجتمع السَّحرةُ فرأوا آياتِ اللهِ ومُعجزاته الخالدةُ،
 فجاءت المفاجأةُ الكبرى (وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا
 آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ).

تمكَّن الإيمانُ من قلوبهم فأشرقَ فيها، وانتصرتِ العقيدةُ
 في حياتهم فعزَّت بها، حضرَ القومُ الميدانَ سحرةً،

فتحوّلوا في لحظاتٍ شُهَداءَ بَرَّة، وها هم يرفعون

أصواتهم بالقوة والتحدّي بعد تهديدِ فرعون (فَأَقْضِ مَا

أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا)

لقد غدا فرعونُ في نظرهم قَزَمًا؛ لأنه لا يملكُ ضُرًّا ولا

نفعًا، ولا يملكُ موتًا ولا حياةً ولا نُشورًا، كان همُّهم

الدنيا، فصارَ تطلُّعُهم مرضاةَ اللهِ والآخرة، وأعلنوا

بقلوبٍ مُؤمنةٍ توبةً صادقةً، داعينَ ربَّهم المغفرةَ

والرِّضوانَ .

لقد حوّلَ الإيمانُ الصادقُ السَّحرةَ إلى مؤمنين؛ بل دُعاةً

إلى الدينِ، يدعونَ الناسَ إلى الهدى والنورِ (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ

رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ

مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى)

وهذا ليس غريبًا؛ فالقلبُ حين يتذوّقُ حلاوةَ الإيمانِ

ولذّته يتمنى أن يطعمَ غيره هذه اللذّة والحلاوة، وقد

حوى تأريخنا قصصَ أممٍ وأفرادٍ كانوا يُحاربون الإسلامَ،

فجعلهم الإيمانُ قِمَمًا في الدين، وأُسودًا تُدافعُ عن

حياضه، وترعى مصالحه.

وسجّلَ واقِعنا المعاصرُ نماذجَ تُحتذى لأقوامٍ كانوا أئمةَ

ضلالٍ في ترويجِ المخدّراتِ والمحرماتِ، ونهبِ الأموالِ،

وانحرافِ الأفكارِ، فحوّلهم الإيمانُ أئمةَ هدى ونماذجَ

تُقّى .

إخوة الإيمان: لما وصلَ الاستكبارُ غايته اقتربت لحظاتُ

النصر؛ ففي اليومِ العاشرِ من شهرِ اللهِ المُحرَّمِ أنجى اللهُ
 موسى ومن معه، وأغرقَ فرعونَ وملأه، ولما رأى فرعونُ الهلاكَ
 وأدركه الغرقُ (قال آمنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو
 إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وهمَّاتَ هيمَاتَ (الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ
 قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)، ويأتي الحُكْمُ من اللهِ (فَالْيَوْمَ
 نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً) آيةً للطُّغَاةِ والمُفْسِدِينَ
 ولمن أرادَ أن يعتبر (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ).
 ألا فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعتبروا بمصارعِ الغابرينَ، وحسنِ
 عواقبِ الصالحينَ، فإن اللهَ قصَّ عليكم هذه القصصَ لعلَّكم
 تتفكرون، وعن الشرِّ تنزِعُونَ، وعلى الطاعةِ تُقبلون (فأقْصُصْ
 القصصَ لعلَّهم يتفكرون)
 بارك اللهُ لي ولكم ...

الخطبة الثانية

الحمد لله.. أما بعد:

أيها المؤمنون: إن هذه أمتكم أمةً واحدةً، فما ذكره الله من نصرٍ رسله السابقين، وأوليائه الصالحين، هو نصرٌ لأهل الإسلام، في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ ولهذا فإن النبي ﷺ صامَ اليومَ العاشرَ من محرمٍ؛ شكراً لله تعالى أن نصرَ موسى على فرعونَ، وفي الحديث إن النبي ﷺ لما قدم إلى المدينة وجدَ اليهودَ يصومونَ هذا اليومَ، فسألهم عن سببِ صيامهم؟ فقالوا: هَذَا يَوْمٌ عَظِيمٌ، وَهُوَ يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى، وَأَغْرَقَ آلَ فِرْعَوْنَ، فَصَامَ مُوسَى شُكْرًا لِلَّهِ، فَقَالَ «أَنَا أَوْلَى بِمُوسَى مِنْهُمْ» فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ) خ.م

فصوموه أيها المؤمنون؛ شكراً لله رب العالمين، واتباعاً

لسنة محمد ﷺ، وقد سُئِلَ ﷺ عن صيام عاشوراء؟

فقال: «يكفرُ السنة الماضية» م

ومن السنة أن يُصامَ معه التاسعُ ففي الحديث ﷺ: «فإن

كان العامُ المقبلُ إن شاء الله صمنا اليومَ التاسعَ»، قالَ

فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. م.

كما يُسنُّ الاكثارُ من الصيام في هذا الشهرِ المحرمِ فعنه

ﷺ: أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ،

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ. م

ثم صلوا وسلموا ...